تفردات المؤرخ العز بن شداد في كتابه (تاريخ الملك الظاهر)

عن السلطان المستنصر الحفصي

(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م)

Excerpts of the Historian ʿIzz al-Dīn b. Shaddād's Book- the History of the King al-Ẓāhir- Regarding the Sultan al-Mustanṣir al-Ḥafṣi (647-675 AH- 1249-1277)

“历史学家 Al-Izz bin Shaddad 在其关于苏丹 Al-Mustansir Al-Hafsi（伊斯兰历 647-675 年 / 公元 1249-1277 年）的权威著作《Al-Malik Al-Zahir 历史》中的独到之处”

د. مشعل العنزي

Meshal.alenezi@ku.edu.kw

أ.د سند عبدالفتاح

Sanad.abdelfattah@ku.edu.kw

قسم التاريخ والآثار جامعة الكويت

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٢٣/٣/١٢

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٣/٣/٢٦

الملخص

كان المؤرخ عز الدين بن شداد معاصرا للدولتين الأيوبية والمملوكية، لذلك اعتمد الكثير من الباحثين والدارسين المهتمين في تلك الدولتين على كتاباته. ومن أهم مصنفات العز بن شداد "تاريخ الملك الظاهر" والذي احتوت بعض صفحات هذا الكتاب على معلومات قيمة عن الدولة الحفصية (٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٧-١٥٧٣م) وتحديداً إبان القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي؛ وبخاصة عهد السلطان المستنصر الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) الذي كان معاصراً لفترة الظاهر بيبرس (٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م). وهذه الصفحات لم تحلل من قبل الباحثين والمهتمين في تاريخ المغرب الإسلامي.

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (2735-4652) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (1110-2128)

لذا سيتم تسليط الضوء في هذا البحث على دراسة محتوى المعلومات التي أوردها العز بن شداد عن تاريخ الحفصيين في عهد السلطان المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) ؛ من خلال الترجمة التي ضمنها في مؤلفه عن بيبرس(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م). ، وذلك من خلال منهجية تفكيكية على شذرات النصوص التي أوردها عن هذا السلطان مستخدماً منهجاً استقرائياً، بالإضافة إلى منهج تحليل المضمون للنصوص الواردة في ثنايا هذه الكتاب.

الكلمات الدالة: عز الدين بن شداد، الحفصيين، المستنصر، الملك الظاهر

Abstract

The historian ʿIzz al-Dīn b. Shaddād had been contemporary of the Ayyubid and Mamluk states. Many scholars have relied on his books. Among the most important books of ʿIzz al-Dīn b. Shaddād is the history of al-Malik al-Ẓāhir. Some pages of this book contain valuable information about the Ḥafṣid state in the seventh century AH / thirteenth century AD, specifically the era of sultan al-Mustanṣir al-Ḥafṣī, who was contemporary with the period of al-Ẓāhir Baybars.

These pages have not been analysed by the scholars of the history of the Islamic Maghreb. Consequently, this research analyses these pages.

Keywords: ʿIzz al-Dīn b. Shaddād, Ḥafṣids, al-Mustanṣir, al-Ẓāhir

المقدمة

تحظي الدراسات الحضارية بقسط كبير من كتابات المؤرخين وحسبنا في ذلك حقل الهستوغرافيا(١) الذي يسلط الضوء على كتابات مؤرخي العصر الإسلامي ودراسة محتواها ومناهجهم دراسة ميكروسكوبية(٢)، ومن بين هؤلاء المؤرخين يأتي المؤرخ عز الدين بن شداد كأحد مؤرخي العصرين الأيوبي المملوكي، غير أنه من اللافت للنظر أنه بين ثنايا مصنفه " تاريخ الملك الظاهر"، وخلال تأريخه للدولتين الأيوبية والمملوكية وجدنا بعض الصفحات التي تناول فيها الدولة الحفصية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وتحديداً عهد السلطان المستنصر الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) الذي كان معاصراً لفترة الظاهر بيبرس(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م). ؛ وخلال هذه الصفحات المعدودات تفرد العز بذكر معلومات جدّ قيمة عن هذا السلطان؛ عُدت مرجعاً أساسياً لمن أتى بعده من المؤرخين اللاحقين من قبيل المؤرخ اليونيني في كتابه " **ذيل مرآة الزمان**".

(١) هذا المصطلح يطلق على العلم الذي يختص بدراسة المؤرخين دراسة تفصيلية تتناول مولدهم ونشأتهم وانتمائهم المذهبي والطبقي والعوامل المؤثرة في مفهوم التاريخ عندهم، ومحتوى مصنفاتهم، ومرجعيتهم التاريخية، ومناهجهم التي اعتمدوا عليها.

(٢) الدراسة الميكروسكوبية وتعني الدراسة المجهرية التي تسلط الضوء على مؤرخ ما أو علم من أعلام التاريخ بصفة عامة فتتناوله من جوانبه كافة، وتغطي حياته بصورة دقيقة، لتعطي في النهاية صورة واضحة جلية عن هذه الشخصية محل الدراسة.

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652–2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128–1110)

لذا سيتم تسليط الضوء في هذا البحث على دراسة محتوى المعلومات التي أوردها العز بن شداد عن تاريخ الحفصيين في عهد السلطان المستنصر (٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) من خلال الترجمة التي ضمنها في مؤلفه عن بيبرس(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) ، وذلك من خلال منهجية تاريخية تقوم على التحليل والاستقراء لمضمون شذرات النصوص التي أوردها العز عن هذا السلطان.

ومن الجدير بالملاحظة أن الدراسات السابقة التي تناولت العز بن شداد تناولته من حيث دراسته لتاريخ السلطان المملوكي الملك الظاهر بيبرس (٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م). ودراسة عهده وإنجازاته؛ من قبيل دراسة: أحمد حطيط، عز الدين بن شداد وسيرة الظاهر بيبرس، ودراسة: سند أحمد عبد الفتاح، عز الدين بن شداد مؤرخاً، ودراسة: نبيلة لكحل، وفاء خلايفية، المماليك وعلاقتهم بالسلطنة الحفصية خلال القرنين٧-٩هـ/ ١٣-١٥م)، أما عن تناول العز لتاريخ الدولة الحفصية (٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٧-١٥٧٣م) فلم تثبت عنه دراسات في المكتبة العربية؛ وهو ما دعت الضرورة إليه لدراسة رؤية العز عن السلطان المستنصر الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) الذي كان معاصراً لبيبرس آنذاك(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م). ، وكيفية تناوله لأحداث تونس حاضرة الدولة الحفصية إبان القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

وقد تم تقسيم البحث إلى عدة محاور كالتالي: –

المحور الأول: التعريف المختصر بالمؤرخ العز بن شداد.

المحور الثاني: منهج العز بن شداد في تأريخه للسلطان المستنصر الحفصي.

المحور الثالث: – محتوى تاريخ الملك الظاهر لابن شداد عن المستنصر الحفصي.

المحور الأول: التعريف المختصر بالمؤرخ العز بن شداد. :–

اختلفت المصادر الإسلامية والمصنفات الحديثة في العز بن شداد اختلافاً متبايناً؛ تارة في اسمه ولقبه وكنيته؛ وتارة أخرى في مصنفاته التي تداخلت مع مصنفات سمّيه وشيخه بهاء الدين بن شداد؛ الذي صنف كتاب " ***النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*** " للسلطان صلاح الدين الأيوبي .(حبيب زيات، ١٩٣٤؛ صلاح الدين المنجد، ١٩٥٨؛ سند عبد الفتاح وعز الدين بن شداد، ٢٠٠٧)

والثابت من خلال الاطلاع على مصنفات العز بن شداد المتعددة، والتي وقع بعضها تحت طائلة الضياع أن اسمه هو أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم بن خليفة بن شداد بن إبراهيم بن شداد (العز ابن شداد، ١٩٥٣؛ محيي الدين ابن عبد الظاهر، ١٩٦١؛ أبو الفخر الصقاعي، ١٩٧٤؛ ابن شاكر الكتبي، ١٩٨٤؛ ابن شاكر الكتبي ١٩٥١؛ شهاب الدين النويري، ١٩٩٢؛ صلاح الدين الصفدي، د. ت؛ شمس الدين الذهبي، ١٩٨٧؛ ابن كثير،١٣٥٨هـ؛ اسد ابن الفرات، ١٩٣٩؛ محب الدين ابن الشحنة، ١٩٠٩؛ لطفي عبد البديع ، ١٩٥٦؛ خير الدين الزركلي، ١٩٥٩؛ أبو محمد اليافعي، ١٣٣٩هـ؛ سند عبد الفتاح وعز الدين بن شداد، ٢٠٠٧)، هذا في الوقت الذي أخطأ في ذكر اسمه بعض المؤرخين (شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١؛ شمس الدين

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (2735-4652) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

الذهبي، ١٩٨٧؛ سند عبد الفتاح، عز الدين بن شداد،٢٠٠٧؛ Cahen, 1940) ، وذلك بتقديم اسم جده علي أبيه؛ والثابت هو ما ساقه العز لنسبه في مستهل مصنفه " الأعلاق الخطيرة " ؛ وخير شاهد على ذلك أيضاً أنه بصدد حديثه عن أحد مشاهد الشيعة بحلب وهو " مشهد الحسين " ؛ أخذ يزهو محتالاً بجده الشيخ إبراهيم بن شداد الذي تبرع من ماله الخاص لبنائه وعمارته.(العز ابن شداد، ١٩٥٣)

هذا، وقد ولد العز بن شداد في مدينة حلب في السادس من شهر ذي الحجة سنة ٦١٣هـ/ مارس ١٢١٧م (شرف الدين اليونيني، ١٩٦١؛ عبدالحي ابن العماد، ١٩٨٦؛ اغناطيوس كراتشوفسك،١٩٥٧؛ أيمن فؤاد سيد، ١٩٧٤؛ سند عبد الفتاح، عز الدين بن شداد، ٢٠٠٧)، ونشأ وتربي بين ربوعها وأخذ مناهل ثقافته الأولى منها؛ وعرفاناً بالجميل لها، وحسرة على ما آل إليه حالها عقب الاجتياح المغولي لها في العاشر من شهر صفر سنة ٦٥٨هـ/يناير ١٢٦٠م، قام بتخصيص أحد مصنفاته وهو " الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة"؛ للتغني بمظاهر العمران بها . (العز ابن شداد، ١٩٥٣)

هذا وحمل العز بن شداد العديد من الألقاب التي تدل على مدى رفعة مكانته وعظمها بين مؤرخي عصره؛ وردت بين ثنايا المصادر الإسلامية المختلفة مثل: عز الدين الحلبي (شرف الدين اليونيني، ١٩٦١؛ ابن شاكر الكتبي، ١٩٨٤، شهاب الدين النويري، ١٩٩٢؛ أبو الفخر الصقاعي، ١٩٧٤؛ أبو بكر الدواداري، ١٩٧٤؛ تقي الدين المقريزي، ١٩٩٧؛ عبدالقادر النعيمي، ١٩٩٠؛ عبدالحي ابن العماد، ١٩٨٦؛ Sauvaget,1933) والعز الحلبي، والقاضي الحلبي، وشمس الدين، والصاحب، والمشير ،(ابن شاكر الكتبي، ١٩٨٤؛ شهاب الدين النويري، ١٩٩٢؛ اسد ابن الفرات،١٩٣٩؛ أبو العباس القلقشندي،١٩١٣-١٩١٨؛ سند عبد الفتاح، عز الدين بن شداد، ٢٠٠٧)، والصدر الكبير، والوزير، والكاتب (شمس الدين الذهبي، د.ت)

كما خلع بعض سلاطين دولة المماليك ووزراؤهم على العز بن شداد؛ بعض الألقاب التشريفية والتعظيمية نظراً لرفعة مكانته لديهم، فقد خاطبه الوزير بهاء الدين بن حنا – وزير الظاهر بيبرس – معظماً إياه قائلاً: " ***مثلك يا سيدنا عز الدين من يصحب*** " (أبو الفخر الصقاعي، ١٩٧٤) ، كما رفض السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ /١٢٧٨-١٢٨٩م) (محمد حمزة الحداد، المنصور قلاوون، ١٩٩٨) توليته إحدى الوظائف الجليلة ؛ وهي وظيفة ناظر الصحبة الشريفة بدمشق لأن مقام " ***المولي عز الدين معد لأكبر من هذا*** " .(اسد ابن الفرات، ١٩٣٩)

كما كان العز بن شداد رئيساً في مجال الكتابة والإنشاء، وتميز بروعة الأسلوب ودقة الألفاظ وبلاغتها؛ فكان "***أديباً فاضلاً*** " (صلاح الدين الصفدي، د. ت)، لذا وسمه بعض المؤرخين بـ" ***الرئيس المنشيء البليغ*** " (شمس الدين الذهبي، د. ت؛ أبو محمد اليافعي، ١٣٣٩هـ؛ عبدالحي ابن العماد، ١٩٨٦؛ سند عبد الفتاح وعز الدين بن شداد، ٢٠٠٧) ، وشخص الذهبي (شمس الدين الذهبي، ١٩٨٧) قابليته الأدبية بكونه "***الأديب البليغ***"؛ ونعته آخرون (شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١؛ صلاح الدين الصفدي، د. ت؛ سند عبد الفتاح وعز الدين بن شداد، ٢٠٠٧) بـ" ***حسن المحاضرة*** " ، بالإضافة إلى هذا وذاك رجوعه إلى مصنفات المؤرخين والجغرافيين وكتب المسالك والممالك؛ لذا ليس بغريب أن ينعت بـ" ***الإمام العلامة*** ". (محب الدين ابن الشحنة، ١٩٠٩)

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

كما كان العز بن شداد " ***ديّناً*** " (شهاب الدين النويري، ١٩٩٢؛ اسد ابن الفرات، ١٩٣٩)؛ لذا نعت بـ" ***الشيخ*** " (ابن كثير، ١٣٥٨هـ)، وتلك المكانة الدينية زادت من حرمته وتعظيمه لدى كبار الأمراء والأعيان، بل والوزراء والسلاطين فصار " ***محبوباً إليهم*** " (شهاب الدين النويري، ١٩٩٢؛ اسد ابن الفرات، ١٩٣٩)، لدرجة أنه كان لا يندب إلا " ***للمهمات الكبار*** " (أبو الفخر الصقاعي، ١٩٧٤)؛ مثل قضاء الأشغال السلطانية من قبيل: قيامه بكشف قصبة مدينة حران، وقيامه بحصر الصادر والوارد من إنتاجها لسابق خبرته المالية في هذا الأمر، بالإضافة إلى قيامه بدور الوساطة الدبلوماسية بين الأطراف المتنازعة ، خاصة بين دويلات بلاد الشام نظراً لسابق خبرته وحنكته في تلك الأمور .

أضف إلي ذلك اهتمامه بالفقه والتفسير بحيث صنف فيه مؤلفاً بعنوان "***كروم التهاني إلى تفسير السبع المثاني***" (البغدادي، ١٩٤٧) ، ناهيك بولعه وشغفه بالتاريخ ؛ فقد ترك تراثاً خصباً في مجال التاريخ والجغرافية – التاريخية، وصل إلينا بعضه ووقع بقيته تحت طائلة الضياع والفقدان ، لذا لا عجب أن نعته أكثر المؤرخين (شهاب الدين النويري، ١٩٩٢؛ اسد ابن الفرات، ١٩٣٩؛ سند عبد الفتاح وعز الدين بن شداد، ٢٠٠٧)، بأنه كان "***مؤرخاً***"، ووسمه ابن كثير **(ابن كثير، ١٩٥٨هـ)** بأنه "***كان معتنياً بالتاريخ*** " ، كما وصف" ***بالمؤرخ العربي*** " (دائرة المعارف الإسلامية، ١٩٣٣) وذكره المستشرقون) بأنه مؤرخ سوري في المجالات الطبوغرافية والتاريخية ، وذكره أحد الكتّاب المحدثين (خير الدين الزركلي، ١٩٥٩) أنه مؤرخ رحالة طاف بين أرجاء بلاد الشام و الجزيرة الفراتية ومصر .

ظل العز كامناً في بلدته حلب حتى غادرها مكرهاً عقب الغزو المغولي لها وللولايات الشامية الواحدة تلو الأخرى ، حيث ساد الذعر وحل البلاء ؛ فغادرها وقلبه ينفطر أسى وحسرة وندامة على فراقها، زاحفاً صوب مصر حيث سقط أسير إحسان الظاهر بيبرس البندقداري(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م)؛ وظل ملازماً إياه حتى وفاته – بيبرس – سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م ؛ فانتقل إلي خدمة ابنه الملك السعيد بركة خان (٦٧٦-٦٧٨هـ/ ١٢٧٦-١٢٧٨م)، ومن بعده السلطان الملك المنصور قلاوون ؛ والذي بلغ في عهده من الكبر عتياً فأصابه الهرم والإعياء فقضي نحبه في يوم الأربعاء السابع عشر من شهر صفر سنة ٦٨٤هـ/ أبريل ١٢٨٥م عن عمر ينيف قليلاً علي السبعين عاماً؛ ودفن بحي القرافة في سفح جبل المقطم بالقاهرة.(شهاب الدين النويري، ١٩٩٢؛ ابن شاكر الكتبي، ١٩٨٤؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١؛ أبو الفخر الصقاعي، ١٩٧٤؛ صلاح الدين الصفدي، د. ت؛ أبو محمد اليافعي، ١٣٣٩هـ؛ اسد ابن الفرات، ١٩٣٩؛ شمس الدين الذهبي، ١٩٨٧؛ لطفي عبد البديع، ١٩٥٦؛ (Quatremére,1845

المحور الثاني :-منهج العز في ترجمته للمستنصر الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م):

اتبع العز في مصنفه " تاريخ الملك الظاهر" منهجاً حولياً مرتباً على حوادث السنين؛ حيث يبدأ بذكر حوادث كل سنة مركزاً على محور تاريخه وهو السلطان الظاهر بيبرس البندقداري(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م)، على أن يختم حوادث كل سنة بذكر تراجم الوفيات لأعيان عصره الذين وافتهم المنية في تلك السنة، ومن بين تراجم الوفيات أفرد العز ترجمة مستقلة للمستنصر الحفصي، وأطنب في ذكر تفاصيلها على عكس ذكره لتراجمه الأخرى من أعلام العصر المملوكي، كما أنه لم يضع ترجمته للسلطان الحفصي ضمن وفيات السنة التي يتناولها بالحديث كما جرت عادته في مصنفه، بل أوردها بعد انتهائه من ذكر حوادث سنة

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (2735-4652) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

٦٧٥هـ/ ١٢٧٥م وقبل بدايته في الحديث عن " **ذكر وفيات من توفي في هذه السنة من الأعيان**" (العز ابن شداد، ١٩٨٣). واللافت للنظر أن العز لم يذكر لقب " **المستنصر**" على الإطلاق خلال حديثه عن صاحب تونس السلطان محمد.

زد على ذلك أن ترجمته للسلطان الحفصي خلت من أهم حدث تعرض له هذا السلطان في عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م وهو الحملة الصليبية الثامنة على تونس بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، والتي قدر لها الفشل بموت صاحبها قبل هجومه على سواحل الدولة الحفصية(٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٧-١٥٧٣م)، فلم يتعرض العز لا من قريب أو بعيد أو مجرد الإشارة لموقف المستنصر من هذه الحملة، أو هل كانت هناك تنسيقات بين الظاهر بيبرس (٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) سلطان مصر وصاحب تونس لدرء هذا الخطر الصليبي؟ كل ذلك أغفله العز بن شداد في حديثه عن السلطان الحفصي.

(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) جاء منهج العز في ترجمته للمستنصر الحفصي أشبه بمنهج كتّاب الطبقات والتراجم، حيث يذكر اسم المترجم له، ثم يبدأ في سرد أهم إنجازاته، واضعاً عناوين جانبية بالحديث الذي يتناوله عنه، وإن غلب الجانب السياسي في حديث العز عن المستنصر الحفصي فتناول صراعه مع أفراد عائلته على كرسي السلطنة، ثم تناول الحديث باستفاضة أكثر عن الصراع القبلي ودور السلطان في ترويض هذه القبائل تارة بالترغيب، بالترهيب والتهديد والوعيد تارة أخرى.

كان العز أميناً في نقل معلوماته وحاول قدر الإمكان التأكيد في ذكر أخباره، وإذا ما كانت معلوماته محل شك لديه، فإنه كان يعقب عليها بقوله: " **تخميناً لا يقيناً**".(العز ابن شداد، ١٩٨٣) زد على ذلك أنه إذا صادفه مصطلح في الدولة الحفصية(٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٧-١٥٧٣م) كان يذكر مقابله في دول المشرق الإسلامي؛ فحينما تحدث عن " **دار الحرير**" التي فيها تُصنع الثياب من قبل السلطان أفاد أنها هي نفسها " **دار الطراز**" (العز ابن شداد، ١٩٨٣)

غير أنه تظل المشكلة الأكبر التي طغت على كتابات العز عن المستنصر الحفصي هي غياب المرجعية التاريخية، حيث جاءت الصفحات التي ذكرها عنه خالية من وثائق كالمشاهدة والعيان أو السماع أو النقل من مصادر مكتوبة، أو ذكر أسماء أشخاص استقى منه هذه المعلومات، وهو ما فتح الباب أمام الترجيح بأنه ربما اطلع على وثائق دبلوماسية بين سلطان مصر وسلطان الدولة الحفصية من خلال وجوده وقربه داخل بلاط الظاهر بيبرس، بل ومن المقربين له.

أما عن إشكالية الموضوعية في كتابات العز عن المستنصر الحفصي؛ فقد وضعه في الميزان وذكر ما يتمتع به من إيجابيات ولم يتغاض عن ذكر السلبيات، فكما وسمه بصفات الجود والكرم والفضل، ألصق به أيضاً صفات الاستهتار والانهماك في الملذات والمكر والخديعة والتنكيل بخصومه، إلا أن العز مع ذلك حينما ذكر وفاته ترحم عليه قائلاً: " **تغمده الله برحمته، وبوأه غرف جنته**" (العز ابن شداد، ١٩٨٣)

المحور الثالث: محتوى تاريخ الملك الظاهر لابن شداد عن السلطان المستنصر الحفصي:

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

يرجع نسب الحفصيين إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي بن أبي حفص الهنتاني؛ حيث قامت دولتهم في بلاد إفريقيّة (المغرب الأدنى)، واتخذوا من تونس حاضرة لها، وترامت حدودها من برقة شرقاً إلى بجاية في المغرب الأوسط غرباً في أقصى اتساع لها (ابن الشماع، ١٩٨٤؛ احمد ابن أبي الضياف، ١٩٩٢؛ السيد عبد العزيز سالم، ١٩٩٩؛ محمد عبد الكريم، ٢٠١٢)

عين الموحدون الشيخ أبا محمد عبدالواحد بن الشيخ أبي حفص والياً على بلاد إفريقيّة لقمع الثورات المناوئة لحكم الدولة الموحدية من قبيل ثورات العرب من بني هلال (عبد الحميد بو سماحة ، ٢٠٠٨) وبني غانية (واعظ نويرة، ٢٠٠٨؛ علي قنبر إلياس،٢٠١٠)، فقام بالأمر على أفضل ما يكون وحكم هذه البلاد بكل حزم، وأسس للوجود الحفصي بتونس ومهد لخلفائه من أبنائه وذريته حتى توفي سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢٢م (عبدالله التيجاني، ١٩٨٥؛ ابن أبي دينار، ١٣٨٦هـ؛ محمد عبد الكريم ، ٢٠١٢)

اعتلى كرسي الحكم بعده ابنه الأمير أبي زكريا يحي سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م، ودانت له إفريقية، ويعد هو المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية(٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٧-١٥٧٣م) ، حيث استقل عن حكم الموحدين، منتهزاً حالة الشيخوخة التي ضربت الموحدين في مراكش، جراء الانقلابات الداخلية والحروب الأهلية داخل السلطة على الحكم، بالإضافة إلى تمردات القبائل على السلطة المركزية بالمغرب الأقصى كبني مرين، وتراجع الخليفة المأمون الموحدي عن مذهب الموحدين وانقلابه على تعاليم المؤسس محمد بن تومرت المهدي (ابن خلدون ، ١٩٦٨؛ احمد ابن أبي الضياف، ١٩٩٢؛ محمد عبد الكريم ، ٢٠١٢؛ عبد المجيد النجار ، ١٩٨٣) ، فاعتبر الأمير أبو زكريا ذلك مسوغاً لنبذ بيعة الموحدين، واعتبر نفسه وريث الخلافة الموحدية ومبادئها، فانفصل عن الموحدين بأفريقيّة سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م، ووصل سلطانه حتى مدينة سجلماسة جنوباً، واستولى على الجزائر وتلمسان، وحصل على بيعة مدن الأندلس التي بعث إليها إمدادات السلاح والمؤن، وكذلك نال ولاء بني مرين بالمغرب الأقصى، وبني عبد الواد بالمغرب الأوسط (ابن الشماع، ١٩٨٤)، وأصبحت الدولة الحفصية(٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٧-١٥٧٣م) أقوى دول الغرب الإسلامي آنذاك، وتمتعت بعلاقات تجارية قوية مع الجمهوريات الإيطالية وأراجون فنعمت تونس بازدهار تجاري واقتصادي كبير في عهده (حسام طرابلسي ، ٢٠٠٧؛ محمد عبد الكريم، ٢٠١٢)، واستفاد من خبرات المهاجرين الأندلسيين الوافدين على تونس في مجال الإدارة والعمران و الصناعة (أحمد الغبريني ، ١٩٧٩)، بحيث وضع هذا الأمير أساساً متيناً لدولته القوية ولذريته، فرتب الجيش والأسطول، وجعل من تونس حاضرة للعلم والسياسة إلى أن توفي سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م (ابن قنفذ القسنطيني، ١٩٦٨، محمد العروسي، ١٩٨٦)

وصلت الدولة الحفصية في عهد الخليفة المستنصر (٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) محمد إلى أوج ازدهارها والذي جلس على عرش السلطنة عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩، وظل يحكم الدولة بيد من حديد إلى أن توفي في عام٦٧٥هـ/١٢٧٧م عن عمر ينيف عن الخمسين عاماً على أرجح الآراء نتيجة لمرض ألم به في رحلة صيد عام ٦٧٥هـ (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

شهدت إفريقيّة في عهد المستنصر (٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) أعمالاً عمرانية جليلة كالمساجد والقصور والمخازن والحدائق على الطراز الأندلسي بعدما قَدِمَ لتونس واستقر فيها كثير من علمائها وشعبها (أحمد العمري، ٢٠٠٢)، واتسعت حدود الدولة، وأعلن المستنصر (٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) نفسه خليفة للمسلمين سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، حيث جمع

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

العلماء وأخذ يحاورهم بدهاء سائلاً إياهم: **أأنتم مؤمنون أم لا؟ فقالوا: مؤمنون، فعاود سؤالهم: وأنا أميركم أم لا؟ فقالوا: أميرنا، فسألهم إذا اجتمع نعتي ونعتكم فكيف يكتب؟ فقالوا: أمير المؤمنين، قال فاكتبوه** (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)، ومن هنا خوطب بأمير المؤمنين ونُقشت النقود باسمه، وعلى الفور وصلته بيعة بني مرين بالمغرب الأقصى والأندلس، وبيعة صاحب مكة بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد (نبيلة لكحل و وفاء خلايفية، ٢٠١٩) ، وارتبط بعلاقات سياسية وتجارية قوية مع مصر وأراجون ومدن إيطاليا التجارية (ابن قنفذ القسنطيني ، ١٩٦٨)، وفي عهده حاصر لويس التاسع ملك فرنسا السواحل التونسية، وقاومه الحفصيون إلى أن توفي لويس التاسع بوباء الطاعون الذي انتشر في صفوف جيشه سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م، وفكّ الفرنسيون الحصار مقابل مبلغ كبير دفعه الحفصيون (محمد الزركشي، ١٩٦٦؛ روبار برنشفيك، ١٩٨٨، سامية عامر، ٢٠٠٢)

تفرد المؤرخ العز ابن شداد بمعلومات جدّ قيمة عن الأمير محمد بن أبي زكريا بن أبي محمد بن عبد الواحد الحفصي، رغم بعده عن البلاط الحفصي، ولو أتيح له أن يكتب سيرة ذاتية عنه كتاريخه عن ولي نعمته الظاهر بيبرس(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) لربما شهدنا معلومات تفصيلية عن المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) لا نجد لها صدى في أي مصدر تاريخي آخر؛ فيذكر العز أن أبا زكريا جمع في صفاته الكثير من المتناقضات؛ فكان كريماً مولعاً بالتشييد العمراني، مكثراً من أعمال المعروف؛ إلا أنه على الجانب الآخر كان منغمساً في اللهو والملذات، مغرماً باقتناء الجواري لدرجة أن المصادر تحدثنا أنه كان " يزف عليه في كل ليلة جارية" (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

اللافت للنظر أن أبا زكريا كان ولياً للعهد في حياة والده حتى توفي والده في بلدة بونا في عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م؛ ولحرصه على كرسي الحكم، ترك جنازة والده وقطع المسافة إلى العاصمة تونس في خمسة أيام وكانت العادة أن تقطع في عشرين يوماً؛ حتى قيل إن البغل الذي انتقاه لتلك المهمة مات خلال سفره، وما كان ذلك إلا خوفاً من أعمامه الذين كانت لهم مطامع في الحكم؛ وبخاصة عمّيه أبي إبراهيم المجدور، وأبو عبد الله محمد اللحياني الذي كان مشهوداً له بالصلاح (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

باءت كل محاولات أبي زكريا بالفشل حيث سبقه خبر وفاة والده إلى تونس، وساد جو الحزن بين أرجاء القصر، غير أنه أمر بضرب البشائر والأفراح قائلاً:" **افرحوا بي ففيّ خلف عن الماضي**" (العز ابن شداد، ١٩٨٣)

تعامل أبو زكريا بدهاء مع خصومه المناوئين له في الحكم، فأرسل في الحال أحد علوجه (أبو العباس القلقشندي،١٩١٣؛ العز ابن شداد، ١٩٨٣) إلى جيشه في بلدة بونا لاستدعاء العسكر على أن يضع عمه اللحياني في مقدمة الجيش وعمه أبي إبراهيم في مؤخرته، وحينما اقترب الجيش من تونس أصدر أبو زكريا مرسومه بأن يترجل الجيش بأكمله خلا عمّيه؛ كي يكشف الملتزم بالطاعة والمظهر للعصيان والتمرد، واستطاع أن يكشف بنظره الثاقب أعداد الداخلين في طاعته والمضمرين العصيان له، وأحصاهم في ذاكرته لحين القضاء عليهم (العز ابن شداد، ١٩٨٣)

نسج أبو زكريا خيوط مؤامرته للتخلص من خصومه؛ فأخذ يستقبلهم في قصره، وينعم عليهم بالخلع ويفرق عليهم آلاف الدنانير ويهبهم الخيول الثمينة بخلاف أعداد غفيرة من المماليك؛ بحيث أصبح قصره مأمناً لهم، وظل على خطته هذه عاماً ونصف العام،

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (2735-4652) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

حرص خلالها ألا يغيب عمّيه والمعارضين له عن عينيه والذين حدد أعدادهم بخمسة أشخاص (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

بدأت معاملة أعمامه تتغير على أبي زكريا حسداً عليه ومن مكانته، في ظل مراقبة الجنود لهم كظلهم، وأحسوا بنيته في التخلص منهم؛ فطلبوا الإذن بالخروج للتنزه، فأذن لهم أبو زكريا، ثم ركب وراءهم متخفياً، حتى اجتمعوا في بستان، فصعد السلطان إلى أعلى شجرة كي يسترق السمع لهم، وبدأوا في النقاش حول كيفية الاستيلاء على عرش السلطنة، فقال عمه أبو إبراهيم "**إما أن تأخذها أو آخذها** "، فأقر اللحياني له بأنه وعد السلطان أن يزوجه ابنته وحلف له بذلك سراً دون علمه، إلا أنهم أجمعوا في هذا اللقاء على الاعتراف بسلطنة اللحياني، وخرج أصحاب التمرد والعصيان إلى دار اللحياني بالفعل، وحشدوا أنصارهم في انتظار اللحظة الحاسمة، هذا وكل خيوط هذه المؤامرة كانت تحت سمع وبصر السلطان الذي أخذ يراقبهم وعرف نواياهم.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

لم ينتظر السلطان محمد طويلاً فعجّل في تنفيذ خطته نظراً لخطورة الوضع على سلطنته التي بات عرشها تحت التهديد؛ إن هو أظهر التقاعص في ردع المتمردين عليه؛ فنزل من مخبئه من أعلى الشجرة، وتصادف أن رأه خولي البستان فخشي السلطان أن يشي بأمره فتنهار خطته، فأغراه بأن أعطاه مكافأة ثمينة ثم استدرجه في الحديث حتى أسقطه وتخلص منه في أعماق ساقية البستان وأمن بذلك على كتمان خطته.(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

بدأ السلطان محمد بحشد أنصاره من المماليك الترك والعلوج والسودان حتى جمع منهم ما يقرب ستة آلاف فارس؛ وجهز أحد علوجه الثقاة ويدعى ظافر، وجعله قائداً على ألفيّ فارس، ثم جعل أحد علوج والده الثقاة ويسمى مظفرًا، وجعله قائداً على ألفي فارس من الأتراك، ثم جعل أحد خواصه المقربين ويدعى مصباحًا قائداً على جند السودان، وأمرهم جميعاً بحشد أسلحتهم وعتادهم، فامتثلوا لأمره، وسألوه عن طبيعة مهمتهم، فأمرهم بالذهاب في الحال إلى دار عمه اللحياني وقطع رؤوس جميع من فيها، لدرجة أن قائده المظفر تعجب من طلبه، فكرر عليه كلمة " **قطع رؤوسهم**" مرتين، فوبخه السلطان قائلاً: " **يا كلب كأنك معهم! رؤوسهم ورأسك معهم**" (العز ابن شداد، ١٩٨٣)

في هذا الوقت كان المتمردون في دار اللحياني في لعب ولهو ينتظرون اللحظة الحاسمة للانقضاض على ملك الدولة الحفصية(٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٧-١٥٧٣م)، ولا يعلمون من أمر ابن أخيهما شيئاً، فلم يستفيقوا إلا وجنود السلطان محمد فوق رؤوسهم تحصدهم، وتم قطع رؤوسهم وتقديمها للسلطان على طشت من الفضة، ثم طلب السلطان من جنوده تتبع الباقيين فتم القبض عليهم جميعاً؛ وسيقوا مقيدين بالسلاسل إليه حيث أمر قضاة تونس وعدولها -الذين كانوا مجتمعين في قصره- بمصادرة أملاكهم وحصرها، ثم قام بضرب أعناق الكثير منهم، وأصدر عفوه عن البعض الآخر، وأمر بتسوية دور المتآمرين بالأرض (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (2735-4652) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

عقب القضاء على المتمردين أخذ السلطان محمد في الإنفاق بسخاء على مقدمي العسكر والأعيان وأكابر الناس من الرعية؛ فقام بتوزيع الكثير من الأموال عليهم، بالإضافة إلى الخلع من الثياب الصوف والحرير والعمائم، كل ذلك لاستمالتهم إلى صفه، ونجح في سياسته هذه إلى أبعد الحدود حيث دانوا في طاعته.(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

لم يهنأ السلطان محمد كثيراً بالاستقرار على كرسي الحكم عقب تخلصه من المناوئين له من أعمامه؛ إذ سرعان ما ظهرت له بوادر أخطار من قبل قبائل العربان التي كانت منتشرة بكثرة في أرض إفريقية؛ ولعل أبرزهم عرب بني كعب (ابن خلدون، ١٩٨١) بزعامة سبع بن يحيي والذي كان شديد المراس فشق عصا الطاعة؛ إلا أن السلطان تحايل عليهم بالمكيدة؛ فقام بمراسلتهم باللين والملاطفة حتى اطمأنوا إليه وقدموا عليه، فحصد رؤوسهم جميعاً (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١

لم يكن عصيان قبائل عرب بني كعب إلا بداية لحركات تمرد وعصيان أشد قوة من قبائل العربان الآخرين والمنتشرين في ربوع الدولة الحفصية؛ والتي وصلت أعدادهم إلى ما يقارب ستين ألف شخصمما شكل تهديداً فعلياً لدولة السلطان محمد قبل أن تبدأ، وبات واضحاً أن ملكه لن يستقيم في وجودهم حيث كانوا يمثلون تهديداً واضحاً لسلطنته؛ وعليه جمع السلطان مجلسه الخاص للتشاور في أمر هؤلاء العربان وكيفية التعامل مع تمردهم؛ فاقترح القادة عليه أن يخرج الجيش بأكمله لقتالهم وتسوية مساكنهم بالأرض والقضاء عليهم، إلا أن السلطان رأى بثاقب نظره أن ميزانية الإنفاق على خروج الجيش والحرب مع العربان قد تذهب بخزينة الدولة، وأن الإنفاق عليهم ومنحهم الاقطاعات أهون عليه من الدخول في هذه الحرب الضروس، وعليه أمر بمعاملتهم بالرفق والملاطفة دون كسب عداوتهم، ومكاشفتهم من دون جيش أو عسكر، وهي نفس السياسة التي انتهجها السلطان دوماً في التنكيل بخصومه، والتي كانت غالباً ما كانت تؤتي أُكلها وتحقق أهدافها بكل يسر.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

بدأ السلطان محمد أولى خطوات المكر والدهاء في التعامل مع قبائل العربان المتمردة عليه بأن منحهم الاقطاعات الجزيلة لعديد من المدن مثل: أطرابلس وجربا وزوارا وزواغا وقرقنا، فسقطوا أسرى لسخائه وكرمه وسبحوا بحمد سلطانهم الجديد، ثم زاد السلطان من كرمه فجهز لهم هدايا ثمينة عبارة عن سيوف ورماح جديدة، وكلف الخياطين بنسج أفضل الثياب من الدراريع ومعارق النساء، وقام بتحميل جميع هذه الهدايا على ظهور البغال وأرسلها بصحبة أحد أكابر دولته وهو أبي يحيي بن صالح، ولم يكن اختيار السلطان له اعتباطاً أو محض صدفة؛ بل إن اختياره كان لشهرته بالصدق لدى قبائل العربان وثقتهم به والتي لا يخالطها أدنى شك؛ وهذا ما جعل استقبال أبي يحيي من قبل العربان مليئًا بالحفاوة والترحاب؛ حيث بالغوا في روعة استقباله وحسن ضيافته (العز ابن شداد، ١٩٨٣)

أضف إلى هذا وذاك الهدف الخفي الذي من أجله اختار السلطان محمد للشيخ أبي يحيي وهو أن هذا الأخير كان عالماً بضروب السيمياء وهي علم من العلوم التي يخالطها السحر والطلاسم؛ لذا أمره السلطان بأن يستخدم ضروب السيمياء في استمالة العربان إليه، وأن يسلب عقولهم بسحره، وذلك في مقابل أن يمنحه ولاية بجاية؛ كان لهذا الاتفاق أثر السحر عند أبي يحيي حيث امتثل لأمر السلطان وبقي عند قبائل العربان ما يقرب من ثلاثة أشهر كاملة لقي خلالها أفضل المعاملة وهو في غاية الإكرام من قبائل العربان مجتمعة. (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

انتقل السلطان إلى خطوته التالية في سبيل القضاء على شوكة قبائل العربان؛ فأرسل إلى أبي يحيي يأمره بأن يخطب له ثلاث بنات من الثلاثة أفخاذ لقبائل العربان المخامرين عليه بصرف النظر عن معيار جمالهن أو قبحهن، وحينما عرض أبو يحيي كتاب السلطان على القبائل فرحوا بذلك فرحاً شديداً، وزُفت البنات في أحياء العربان فرحاً باتصالهم بالملك ومصاهرته.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

جنباً إلى جنب سلب أبو يحيي ألباب العربان، واستولى على عقول كبيرهم وصغيرهم بما كان يحدثهم به من ضروب علم السيمياء، كما زاد شغفهم بما كان يعلمهم من علم الرمل ومدى معرفته واتقانه له، فاشتد ميلهم إليه، وهذا ما جعل قبائل العربان تراسل السلطان مجتمعة وتتوسل إليه أن يجعل أبا يحيي مقدماً على قبائل العربان في مقابل تزويجهم لبناتهم إياه، بل وإنه في حال وفاة أبي يحيي فإن ابنه سوف يحل محله مقدماً على العربان كأبيه.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

اشتد فرح السلطان محمد لهذه الأخبار التي حقق بها هدفه المنشود، باختراق جبهة قبائل العربان عن طريق أحد أشخاصه الثقاة؛ لدرجة أنه أعطى للبريدي الذي أحضر كتاب العربان مكافأة قيمّة عبارة عن ألف دينار، وعشرة أكسية حمر، وعشرة من الإبل، وخمسة من الخيل، وخمسة من الجواري يخدمنه، وجعل له مرتباً يكفيه، ثم اختصه بأن يكون رسولاً بينه وبين قبائل العربان، ويشي حجم هذه المكافأة بمدى النجاح الذي حققه السلطان في تعامله مع العربان المتمردين عليه حيث " انكف شرهم عن البلاد، وحصل بها من الأمن أضعاف ما كان بها من الخوف".(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

استمر السلطان محمد في خطته التي ترمي إلى كسر شوكة قبائل العربان في دولته كي يستقيم ملكه؛ فأرسل إلى الشيخ أبي يحيي يستدعيه إليه، وأمره أن يستصحب معه من أفخاذ أمراء العربان الثلاثة من يريد مقابلة السلطان ويحظى بكرمه المنشود؛ فصحبه تسعة نفر من كل فخذ ثلاثة نفر، فدخلوا جميعاً تونس وكان دخولهم يوماً مشهوداً؛ حيث خرج السلطان بنفسه لاستقبالهم على غير عادة الملوك، لدرجة أن الشيخ أبا يحيي فزع من هذا التجاوز في الاحترام الذي فاق الحدود، وظل أبا يحيي يسأل السلطان العفو عن هذه المعاملة التي اخترق بها طقوس الدبلوماسية، إلا أن السلطان صارحه قائلاً: " **لا عليك إنها داهية في حق قبائل العربان**" . (العز ابن شداد، ١٩٨٣)

أراد السلطان محمد نصب مكيدته في حق أمراء العربان فطلب أحد اليهود وكان نقاشاً للسكة، وطلب منه أن يضرب سكة خاصة يكون الدينار فيها بمائة مثقال من الذهب، وبالفعل ضرب ما يقرب عشرة آلاف دينار من هذه السكة، ثم دخل السلطان دار الحرير وهي أشبه بدور الطراز في بلدان المشرق الإسلامي، فأوقف ما كانوا ينسجونه بحق السلطان، وطلب منهم التفرغ لنسج ثياب برسم بنات أمراء العربان اللاتي خطبهم السلطان، وأن يجعل شوار كل عروس برنك وشعار أبيها، ثم قسم الدنانير الذهبية بالتساوي، ووضعها في صناديق خاصة لكل عروس، وأخرج هذه الهدايا بصحبة ستة من عدول دولته، وأمرهم جميعاً بالمسير إلى العربان على أن يقوموا بعقد القران في دورهم، وانتظاراً ليوم العرس خيرهم جميعا ما بين البقاء في ديارهم أو المجيء في ضيافة السلطان، وهو يعلم أن العربان سيُذهلون بمجرد رؤيتهم لهذه الهدايا القيمة.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

نجحت خطة السلطان محمد بعد أن استلمت قبائل العربان هدايا السلطان من الأموال والقماش فذهلت عقولهم واشتدت أطماعهم، ولم يبق لهم حديث إلا فيه، ولا لهم فكر ينصرف عنه.(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

عاد العدول إلى تونس لمقابلة السلطان محمد واطلاعه على أخبار العربان، فأهمل السلطان التواصل مع العربان ردحاً من الزمن، ثم أرسل إليهم كتاباً بصحبة أحد الرسل يطلب منهم الحضور على وجه السرعة لطلب المشورة في أمر ما، فسارع أمراء العربان التسعة لتلبية الطلب بعدما لمسوه من الكرم المتناهي من السلطان في المرة الأولى، ثم وصل بصحبة التسعة أمراء سبعين آخرين طمعاً في جزيل عطاء السلطان، وخرج ابن السلطان للقائهم واستقبالهم، وأنزل كل عشرة منهم في أحد الدور، وشملهم بواسع كرمه وأجزل لهم العطاء والنفقات في المآكل والمشرب، وظلوا على تلك الحالة من حفاوة الاستقبال مدة عشرة أيام، إلا أن السلطان أخبرهم قائلاً: " **إن الأمر الذي أحضرناكم فيه قد قضي من غير احتياج إلى مشورة فيه وذلك ببركاتكم فارجعوا إلى بلادكم**". (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

خلال رحلة عودة العربان إلى ديارهم استولى أحد العربان على عشرة رؤوس من البقر من على الطريق، فقام أنصار السلطان بالقضاء عليه وقتله بسيوفهم، وقطعوا رأسه وأرسله إلى السلطان والذي غضب بشدة لهذا الفعل من جنوده قائلاً: " **البقر بقري، ولعل قد كانت له حاجة بها، فلم فعلتم به ما فعلتم؟** "، ثم أمر أن تجهز له جنازة تليق به وتم دفنه، فأمنت العربان بذلك غاية الأمن، واطمأنوا غاية الطمأنينة، وظلوا عقب هذه الحادثة عاماً كاملاً تحقق فيها للسلطان محمد نشر الأمن بين ربوع دولته بفضل سياسته القائمة على بذل المال بسخاء وبلا حدود عليهم. (العز ابن شداد، ١٩٨٣)

ذكر المؤرخ ابن شداد أن ابن أحد أكابر ملوك البربر وفد على المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) في مدينة تونس ويدعى غمراص، فتم استقباله بحفاوة بالغة، وأمر السلطان أمراء العربان الخروج للقائه هو ملك البربر؛ فقاموا بتلبية الطلب وقدم من العربان زهاء سبعين اميراً، واستقبلهم السلطان بنفسه، وضرب لهم الخيام في البر لمقامهم، على اعتبار أنهم معتادون على حياة البر دون العمائر، وترك الحرية لمن أراد أن يدخل إلى المدينة فليدخل، وخصص لهم كعادته عشرة من الدور لمقامهم وراحتهم.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

اجتمع صاحب تونس وغمراص ملك البربر وأمراء العربان، وأثنى عليهم السلطان مرحباً بهم، وقام أمراء العربان بتقبيل الأرض بين يدي السلطان، ثم طلب منهم أن يدخلوا قصره ليلة واحدة ليشربوا معه، فدخل منهم الكثير إلا نحو عشرين نفراً من أمراء العربان لم يدخلوا، فقام السلطان بالمبالغة في إكرام من دخل إلى قصره من ضروب الزينة ما أذهل عقولهم والمآكل والمشرب ، وأخرج لهم ما يقرب من خمسين جارية للرقص بين أيديهم، ومن طابت نفسه إلى إحداهن أخذها، وأنعم عليهم بالذهب، وحجب السلطان إنعاماته عن الذين امتنعوا عن الولوج إلى قصره، ولما أصبح الصباح بادر السلطان الذين امتنعوا بالأمس بقوله لهم:" **الغدر باق فيكم، فلهذا تأخرتم**" ، ووعدهم السلطان بعمل قبة جديدة لهم في وسط القصر، وسيطلق عليها " قبة العرب" كي يجتمعوا فيها، على أن تدار فيها كؤوس الشراب يوم افتتاحها، فقبلوا ذلك، وصاروا يقبلون يد السلطان، ثم أنعم عليهم السلطان بالذهب مثلما أعطى لسابقيهم دون أن يفطنوا أنه قرر المكر بهم والتخلص منهم.(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

أراد السلطان محمد أن يستخدم مكره ودهاءه في توجيه ضربته القاصمة إلى المخامرين عليه من قبائل العربان، والقضاء عليهم دون أن يكتسب عداوة باقي قبائل العربان، لذا شرع في تنفيذ خطة محكمة أوردها العز بينت مدى الدهاء الذي تمتع به هذا السلطان الحفصي دوناً عن أقرانه من أفراد البيت الحفصي، فحينما دخل قصره استدعى أحد المعماريين (المهندسين) البارزين ويدعى عمرون القرطبي، –نسبة إلى مدينة قرطبة بالأندلس–وطلب منه أن يستخدم مهارته المعمارية في تشييد قبة من الحجر المصمت مساحتها أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً؛ على أن يكون لها ثلاثة أبواب؛ أولها مخصص لدخول قبائل العربان، على أن يدون عليه أسماء أمراء العربان ونقش صورهم عليه، وثاني هذه الأبواب هو باب سر مخصص للسلطان فقط، وثالثها باب مخصص لحاشية السلطان. (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

شرع المهندس عمرون بالفعل في رسم أساسيات القبة بالجير، وأمر بقطع الحجارة في أسرع وقت، ثم إن السلطان تحايل على المعماري فاحتضنه على غير عادة السلاطين، وذكر له أن اطلع على بعض تواريخ الخلفاء فوجد أن أحد الخلفاء تخلص من بعض المتمردين عليه بأن شيد لهم قبة وضرب أساسها بالملح بعد أن أجرى الماء إلى الملح، وسأله إن كان في مقدوره عمل تلك القبة مثلما فعل هذا الخليفة، فعزم عمرون المعمار على تنفيذها للسلطان الحفصي، مستخدماً مهارته الهندسية والفيزيائية، وشرع عمرون بالفعل في عمل آلة لصنع الملح كي لا يلفت النظر إليه مع كميات الملح الكبيرة التي ينوي استخدامها، ثم بدأ في حفر أساس القبة، وأحاطها بالملح في شكل دائري وجعل هناك مجرى مخصصًا لجريان الماء وقتما يأمره السلطان بذلك.(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

أرسل السلطان في طلب أمراء العربان المتمردين وجلس معهم وأكرمهم وشرب معهم من باب التحايل والمكر حتى لا يلفت النظر إليه، وجلسوا جميعاً يشاهدون الصناع وهم يعملون بجد في بناء تلك القبة التي خصصها للعربان، وهم في شوق لرؤيتها بعد إنجازها، وظل السلطان والعربان على هذا الحال أربعين يوماً يأكلون ويشربون ويشاهدون الصناع وهم ينجزون قبتهم حتى اكتمل بنائها.(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

سلبت القبة بعد اكتمال بنائها لبّ أمراء العربان؛ **"فكان البدوي ينظر إلى صورته كأنها تنطق، فيعجب من حذق الصانع"**، وكان بالقصر حمّام مجرى مائه في مقابل قبة العربان، وتم تخزين الماء في هذا الحمام لحين اللحظة الحاسمة).(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

حانت اللحظة الحاسمة للسلطان الحفصي للتخلص من أمراء العربان جملة واحدة؛ خاصة بعد أن أمنوا من السلطان إلى الغاية التي لا يخالجهم شك أنه ينوي التخلص منهم، فأخبرهم بأنه سيمكث معهم في القبة في هذه الليلة، وبدأوا يشربون ويتسامرون والسلطان معهم كي لا يكون محلاً للشك لديهم.(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

أمر السلطان المستنصر(٦٤٧–٦٧٥هـ /١٢٤٩–١٢٧٧م) بحفر أساسيات القبة حتى يظهر الملح ثم صنع مجرى للماء من حمام القصر لأساس القبة، وأمر بتغطية الملح ومجرى الماء بالبُسط كي لا يظهر لأمراء العربان فيكتشفوا مكيدته؛ ثم استدعى السلطان أحد أمهر المنجمين من إشبيلية يسمى ابن الرقيقة، وسأله سؤالًا عن المدة التي يستغرقها ذوبان وانهيار أساس أحد القباب إذا ما

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652–2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128–1110)

أجرى إليه الماء الساخن؟ فأجابه ابن الرقيقة أن المدة هي تسع ساعات، وبمجرد انصرافه أمر السلطان بتعليق آلة الاسطرلابوقام بضبط التوقيت فيه على عشر ساعات من الليل.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

وفي ثالث ليلة لا فتتاح قبة العربان اجتمع السلطان بهم داخل القبة ولم يغب منهم أحد بعد أن ألفوا الأمن والطمأنينة على مدار الأيام السالفة، ثم أطلق السلطان الماء الساخن من وقت المغرب، وبعد ثماني ساعات من جريان الماء على الملح في أساس القبة، قام السلطان من مجلسه وانتقى من حاشيته المقربين إليه خشية من دفنهم تحت القبة، وترك في القبة من يريد أن يتخلص منه، وبالفعل وعقب خروج السلطان ذاب الملح في الماء الساخن، وسقطت القبة على من بداخلها؛ وتم دفنهم تحت أنقاضها ولم يسلم منهم أحد.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

في ذلك الوقت كان السلطان قد كتب إلى أولاد أمراء العربان يأمرهم بالمجيء لإحضار البنات اللاتي عقد قرانه عليهن، وكي ينعم عليهم بالذهب والخلع، وكان وصول وفود أبناء أمراء العربان صبيحة وقوع القبة على من فيها، وصادفوا السلطان باكياً منتحباً والحزن ظاهراً عليه، وكان مرتدياً ثوباً من القطن قائلاً لهم: " **ما ترون ما قد جرى على هؤلاء يعز والله عليّ، ولكن هذا أمر سماوي ما لأحد حيلة فيه**".(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

شرع المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) كعادته في إخفاء خيوط مكره بأمراء العربان فاستدعى عمرون المعماري، فضرب رأسه ليموت معه دليل إدانته بحق أمراء العربان، ثم أمر بنبش أنقاض القبة واستخرج جثامين العربان وقام بدفنها، وكان طبيعياً مع مظاهر الحزن التي بدت على المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) ألا يشك أبناء العربان في السلطان فحلفوا له وبايعوه بيعة جديدة، واستقر له الملك منذاك، ثم استعاد من العربان المدن الخمسة التي منحها إياهم، وأعطاهم بدلاً منها الغلال والمحاصيل.(العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

اهتم المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) بجيشه وسلاحه وعتاده كونه هو الحامي لعرين دولته المترامية الأطراف؛ فجميع أسلحة الجيش وآلاته كانت محفوظة عنده في خزائن السلاح؛ وكل سلاح كان منقوشًا عليه اسم الجندي الذي يحارب به ولا يمكن لأحد آخر التصرف فيه؛ بحيث إذا ما أمر السلطان بالحرب حملت الأسلحة على الجمال ووزعت على الجنود، فإذا ما انتهت المعركة أعيدت الأسلحة إلى الخزائن، على أن يتم تجديد القديم منها، كما أن الأسلحة كانت تورث للأولاد في حال قتل الأب في المعركة، وإذا مات الجندي ولم يكن له وريث فإنها تُمنحُ لرجل آخر. (العز ابن شداد، ١٩٨٣؛ شرف الدين اليونيني ، ١٩٦١)

أما عن مرتبات الجنود في الدولة الحفصية(٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٧-١٥٧٣م) فكانت نقداً لا عيناً؛ فلم يسمح لهم بتملك الإقطاعات كما هي عادة الدول المناظرة للدولة الحفصية، كالدولة المملوكية في مصر على سبيل المثال؛ كما أنه لا يحق لأحد تملك الأراضي إلا من كانت له ملكية ورثها عن أجداده فتظل ملكيتها له ولورثته، زد على ذلك أن خراج البلاد يتم جمعه ويحمل إلى حاضرة الدولة، ثم يوزع في صورة رواتب كل ثلاثة شهور، على أن تكون قسمة المال كما حددها العز: الربع والثمن للسلطان الحفصي ينفقها على خيله وسلاحه ولباسه ومماليكه ونفقذات حاشيته، والنصف والثمن لبيت المال وتكون أوجه إنفاقه على

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

الشواني والسفن بغرض الجهاد والعمائر، وما يستوجب الإصلاحات في سائر ربوع الدولة، وفي حال إعلان أحد الجنود التمرد والعصيان على السلطان، أو مات وليس له وريث فإن تركته تؤول إلى نصيب السلطان فيتضخم نصيبه من المال فعلياً ويصبح النصف والثمن ولبيت المال النصف والثمن أيضاً.(العز ابن شداد، ١٩٨٣)

مما سبق نستنتج من محتوى العز بن شداد عن دولة المستنصر الحفصي بعض النقاط المهمة يمكن إجمالها فيما يلي:-

أولاً:- الطابع البراجماتي(٣) لشخصية السلطان المستنصر محمد(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) والذي يبحث عن كرسي السلطة ومصلحته الشخصية دون النظر لأية أمور أخرى؛ إلى الدرجة التي يترك فيها جثمان والده دون مراسم للدفن؛ ويسرع الخطى إلى مقر حاضرة الدولة في تونس لنيل كرسي السلطنة، بل وتبديل حالة الحزن والنواح داخل القصر إلى الفرح والسرور لمجرد إنه هو السلطان الجديد.

ثانياً:- اهتمام السلطان المستنصر محمد الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) بالحصول على لقب " أمير المؤمنين" لما له من أهمية آنذاك؛ خاصة بعد أن عانى العالم الإسلامي من فراغ السلطة السياسية بسقوط بغداد على يد المغول عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وتسابق الجميع لنيل شرف نقل الخلافة إلى بلده، وكان السلطان الحفصي من بين هؤلاء الذين سعوا إلى ذلك الشرف؛ وإن كان السباق قد حسم بقيام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس(٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) بنقل الخلافة من بغداد إلى القاهرة عام ٦٥٩هـ ونيله لقب " **قسيم أمير المؤمنين**"؛ إلا أن العز يذكر لنا كيف تحايل السلطان الحفصي على علماء دولته في جعلهم يخاطبونه بلقب " **أمير المؤمنين**"، وطلب منهم أن تخرج مكاتباته إلى سائر الآفاق بهذا اللقب.(نبيلة لكحل ووفاء خلايفية، ٢٠١٩)

ثالثاً:- كان السلطان المستنصر محمد الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) قارئاً للتاريخ مطلعاً على سير الأولين، ويبدو أنه استفاد من هذا الأمر في العديد من الأمور؛ فاتبع سياسة اللين والملاطفة مع خصومه ومعارضيه، جنباً إلى جنب مع بذله للمال بكل سبيل ممكن في سبيل الحفاظ على كرسي السلطنة، بالإضافة إلى صفة المكر والدهاء والخديعة والتي قام بتوظيفها في أكثر من موضع للنيل من خصومه دون أن تحوم حوله الشكوك؛ وهذه السياسة اتبعها الخليفة معاوية بن أبي سفيان من قبل بقدها وقديدها حتى إنه صار يُضرب المثل بشعرة معاوية للحفاظ على العلاقة بين الحاكم والرعية.

رابعاً : أثبت محتوى العز عن المستنصر الحفصي(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) أن دولته كانت متقدمة في العلوم العقلية؛ بحيث صارت دولته محطة لاستقبال العلماء من كافة الدول، وبخاصة الأندلس التي وفد عليه علماء وأعيان من إشبيلية وقرطبة ومن بلاد الأندلس عامة (أحمد العمري، ٢٠٠٢)؛ تميزوا بالمهارة والكفاءة، فصار العز يحدثنا عن بعض العلوم العقلية التي تميزت بها دولة المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) مثل: علم السيمياء وعلم الرمل وما يرتبط بهما من ضروب السحر

---

(٣) مصطلح البراجماتية هو يعني النفعية الشخصية، ومحاولة الإنسان تحقيق هدفه وغايته بكل سبيل ممكن، وغالباً ما يأتي هذا المصطلح حينما يتعلق بالصراع حول كرسي السلطنة، التي يبذل فيها الشخص كل قواه في سبيل نيله حتى ولو كان الطريق مغطى بالدماء.

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (2735-4652) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

والطلاسم، وعلم المعمار" الهندسة"، إضافة إلى علم التنجيم والمنجمون، وعلم الحيل (الفيزياء)؛ وبات العز يحدثنا عن وجود بعض الآلات الفلكية الدقيقة التي تم استخدامها إبان فترة هذا السلطان مثل: الإسطرلاب الذي يقوم بتحديد الوقت والزمن بكل دقة، بيد أنه من اللافت للنظر أن توظيف المستنصر لكل هذه العلوم العقلية ولأصحابها كان لخدمة أهدافه الشخصية، وتحديداً التخلص من خصومه والحفاظ على كرسي السلطنة، بل إنه لم يتورع عن التخلص من بعض عباقرة هذه العلوم مثلما فعل مع ابن عمرون المعماري القرطبي بعدما لبى له طلبه ونفّذ له مكيدته.

خامساً: سلط العز بن شداد الضوء على الطابع القبلي الذي ساد دولة المستنصر، حيث انتشرت قبائل العربان في كافة ربوع الدولة الحفصية، وبات خطرهم على السلطان الحفصي أكثر من الأخطار الخارجية التي تهدد دولته؛ وهذا ما دفع العز إلى تسليط الضوء على جهود المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) في سبيل إخضاع قبائل العربان إما بالترغيب أو الترهيب، وإن كان لقوة شوكة هذه القبائل الأثر الأكبر في قيام المستنصر باستغلال مكره ودهائه للتخلص من أمرائهم وإخضاعهم في نهاية المطاف، في المقابل يخبرنا العز أن علاقة المستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) بقبائل البربر وملوكها كانت على خير ما يرام إلى الدرجة التي يستقبل فيها أحد ملوكهم بكل الود والترحاب، بل ويلزم أمراء العربان في دولته على استقباله، ولعل الهدف كان واضحاً ويتمثل في الحفاظ على حدود دولته وتأمينها؛ فالمستنصر(٦٤٧-٦٧٥هـ /١٢٤٩-١٢٧٧م) كان أسيراً لكل ما من شأنه الحفاظ على كرسي سلطنته حتى وإن تحالف مع خصومه.

سادساً: أخبرنا العز بين طيات حديثه عن وجود جالية من الجاليات اليهودية داخل ربوع الدولة الحفصية، والتي يبدو من سياق الحديث أنهم كانوا مسيطرين على ما يخص الأمور المالية، حيث دأبوا منذ أقدم العصور على التعامل بالربا والاستحواذ على مقدرات الحياة الاقتصادية داخل البلدان التي يقطنون بها، ووجود اليهود في ربوع الدولة الحفصية ليس بغريب حيث شكلت موقعاً جغرافيا مهماً في طريق الحرير الذي يربط الشرق بالغرب عرضياً منذ أقدم العصور، وتأتي استعانة المستنصر بأحد اليهود المهرة في نقوش السكة(العملة) لتشي بتمتعهم بمكانة كبيرة في البلاط الحفصي خاصة فيما يخص أمور المال، وقد أجاد المستنصر توظيفهم فيما يخص أهدافه الخاصة، وعلى رأسها الحفاظ على كرسي السلطنة، إلا أن تنفيذ اليهودي لهذا الأمر لم يكن مجاناً، بل ساوم المستنصر على أنه سيقوم بتنفيذ طلبه في مقابل إسقاط الجزية (**الجوالي**) عنه وعن عائلته، ووافق السلطان على طلب اليهودي وهو ما يشي بتمكنهم في مجالهم وعدم استغناء السلطنة عن خدماتهم.

الخلاصة أن العز بن شداد تفرد بأسلوبه في التأريخ لمعالم الدولتين الأيوبية والمملوكية بحكم معاصرته لهما؛ فجاءت كتاباته عنهما جدّ قيمة ومعلوماته عنهما لا نجد لها صدى بين المصادر التاريخية الأخرى، هذا التفرد انتقل بدوره في الصفحات التي أفردها للحديث عن السلطان محمد الحفصي، حيث جاءت معلوماته موسومة بالتفرد سواء على الصعيد السياسي والحضاري؛ فكشف لنا عن طبيعة السلطان الحفصي وعلاقته مع قبائل العربان المناوئين له؛ زد على ذلك إنه وبطريق غير مباشر ذكر لنا بعض المعلومات عن العلوم العقلية التي تميزت بها الدولة الحفصية، مثل: علم السيمياء وعلم الرمل والهندسة(المعمار) وغيرها؛ وإن جاء ذكره لتلك العلوم لتوظيفها في خدمة أغراضه الشخصية والمتمثلة في إخضاع العربان تحت طوعه، ومما يؤسف له أن العز بن شداد الذي دأب على ذكر مصادره التي نقل منها، إلا أنه في الصفحات التي ترجم فيها للسلطان الحفصي لم يورد لنا أسماء المؤلفات التي

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

نقل منها أو الأشخاص الذين سمع عنهم؛ لكن بطبيعة الحال تظل هذه المعلومات التي ذكرها من الأهمية بمكان بحيث صارت مرجعاً لمن أتى بعده من المؤرخين من أمثال اليونيني في كتابه " ذيل مرآة الزمان"؛ والذي يكاد يكون نقل حرفياً عنه ترجمة هذا السلطان الحفصي.

الملاحق:

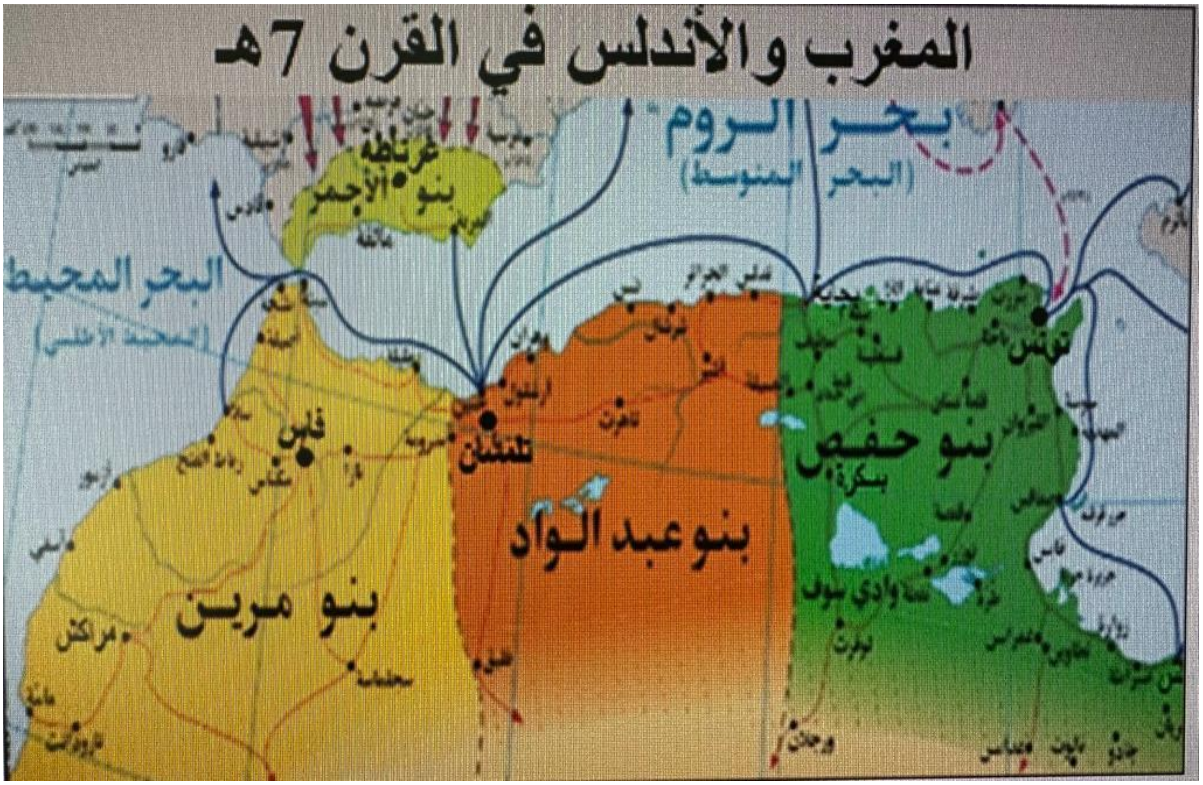

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:– المصادر

ابن أبي دينار، أبو عبدالله.(١٣٨٦ هـ). المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس. مطبعة الدولة التونسية ط١.

ابن أبي الضياف، أحمد. (١٩٩٢). إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان. ج١. تونس.

ابن خلدون.(١٩٦٨). العبر وديوان المبتدأ والخبر. ج٦، تحقيق: خليل شحادة. بيروت.

ابن الشحنة ، محب الدين.(١٩٠٩) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب . نشر : يوسف إلياس سركيس. بيروت .

ابن شداد، العز.(١٩٥٣). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. ج١ ، ق١ . تحقيق: دومنيك سورديل، دمشق.

ابن شداد، العز.(١٩٨٣) تاريخ الملك الظاهر. تحقيق: احمد حطيط. بيروت.

ابن الشماع.(١٩٨٤) الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية. تحقيق الطاهر المعموري. القاهرة.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين. (١٩٦١). تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور. تحقيق : مراد كامل. القاهرة.

ابن عربي، محيي الدين. (٢٠١١) الفتوحات المكية. ج٢. تحقيق: أحمد شمس الدين. بيروت.

ابن العماد، عبدالحي. (١٩٨٦). شذرات الذهب في اخبار من ذهب . ج٥. تحقيق: محمود الارناؤوط. بيروت.

ابن الفرات، أسد. (١٩٣٩). تاريخ ابن الفرات المعروف بـ" تاريخ الدول والملوك" . ج٨. تحقيق : قسطنطين زريق ، نجلاء عز الدين. بيروت ١٩٣٩.

ابن كثير. (١٣٥٨هـ). البداية والنهاية . ج١٣ . القاهرة.

الإدريسي، أبو عبدالله. (١٤٠٩هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ج١. عالم الكتب بيروت.

الإسكندري، شمس الدين. رسالة في عمر الرمل. مخطوط بجامعة الملك سعود تحت رقم ٢٤١٠.

البكري، أبو عبيدالله.(١٩٩٢). المسالك والممالك. ج٢. دار الغرب الإسلامي.

التيجاني، عبدالله.(١٩٨٥) رحلة التيجاني. تونس.

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652–2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128–1110)

حاجي خليفة. (٢٠٠٨). كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. ج١ . تحقيق: محمد شرف الدين. بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن. (١٩٨٢). العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٦، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر بيروت.

الخوارزمي، محمد. (١٣٤٢هـ) مفاتيح العلوم . القاهرة.

الدواداري ، أبو بكر.(١٩٧١). الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية. تحقيق: أولرخ هارمان. القاهرة.

الذهبي، شمس الدين. (١٩٨٧). سير أعلام النبلاء، مج١٧. تحقيق: عبد السلام محمد عمر. بيروت.

الذهبي، شمس الدين. (د.ت) العبر في خبر من غبر. ج٣، تحقيق: أبو هاجر محمد. لبنان.

الذهبي، شمس الدين. تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مج٢٠ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢ تاريخ.

الزركشي، محمد. (١٩٦٦). تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور. المكتبة العتيقة، تونس، ط٢.

الشيرازي. رسالة في شرح الإسطرلاب. مخطوطة بجامعة أم القرى، السعودية.

الصفدي، صلاح الدين. (د.ت) الوافي بالوفيات . ج٤. استانبول.

الصقاعي، أبو الفخر. (١٩٧٤). تالي كتاب وفيات الأعيان . تحقيق : جاكلين سوبلة. دمشق.

العمري، أحمد. (٢٠٠٢). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. السفر الرابع. أبو ظبي.

الغبريني، أحمد. (١٩٧٩). عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. تحقيق عادل نويهض. دار الآفاق للنشر، بيروت، ط٢.

القسنطيني ، ابن قنفذ.(١٩٦٨). الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبدالمجيد التركي. الدار التونسية للنشر، تونس.

القلقشندي، أبو العباس.(١٩١٣– ١٩١٨) صبح الأعشي في صناعة الإنشا. ج٦. القاهرة.

الكتبي، ابن شاكر. (١٩٥١). فوات الوفيات والذيل عليها ، ج١ . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٩٥١.

الكتبي، ابن شاكر. (١٩٨٤). عيون التواريخ ، ج٢١ ، تحقيق : فيصل السامر، بغداد .

المقريزي ، تقي الدين. (١٩٩٧). السلوك لمعرفة دول الملوك. ج١ . تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. بيروت.

النعيمي ، عبدالقادر. (١٩٩٠). الدارس في تاريخ المدارس. ج١ . بيروت.

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652–2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128–1110)

النويري ، شهاب الدين. (١٩٩٢). نهاية الأرب في فنون الأدب . ج٣١ . تحقيق : السيد الباز العريني. القاهرة .

اليافعي، أبو محمد. (١٣٣٩هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. ج٤. حيدر آباد.

اليونيني ، شرف الدين. (١٩٦١). ذيل مرآة الزمان. ج٤. حيدر آباد.

ثانياً:– المراجع العربية والمعربة:

إسماعيل باشا البغدادي. (١٩٤٧). إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. ج٢. إستانبول.

إلياس ، علي قنبر. (٢٠١٠). أسرة بني غانية ودورهم السياسي والعسكري في التصدي لدولة الموحدين في المغرب والأندلس. مجلة التربية والعلم، ١٧. العدد١، سنة ٢٠١٠م، ص ص(٨٦-١١٦).

برنشفيك، روبار. (١٩٨٨). تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصي. ترجمة: حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط١.

بورخيس، خورخي لويس. (١٩٩٩). كتاب الرمل. ترجمة: سعيد الغانمي. دار ازمنة النشر.

بو سماحة، عبد الحميد.(٢٠٠٨). رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية الاجتماعية الاقتصادية. دار السيل.

الحداد، محمد حمزة، المنصور قلاوون. (١٩٩٨). مكتبة مدبولي القاهرة.

دائرة المعارف الإسلامية.(١٩٣٣). مادة " ابن شداد ." ج١، ص ٣٢٦. القاهرة.

الزركلي ، خير الدين. (١٩٥٩). الأعلام . ج٧. القاهرة.

زيات ، حبيب. (١٩٣٤). في تاريخ مملكة حلب. مجلة المشرق، ج٤.

سالم ، السيد عبد العزيز. (١٩٩٩). تاريخ المغرب في العصر الإسلامي . الإسكندرية .

سيد، أيمن فؤاد .(١٩٧٤). مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي . المعهد الفرنسي بالقاهرة.

الصباح. (١٩٨٥). حصة، العلوم عند المسلمين. الكويت.

طرابلسي، حسام. (٢٠٠٧). الزيانيون في تلمسان والحفصيون في تونس، ندوة ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن الرابع عشر الميلادي . مطبعة مكتبة الإسكندرية.

عامر، سامية. (٢٠٠٢). الصليبيون في شمال أفريقيا حملة لويس التاسع على تونس٦٦٨-٦٦٩هـ١٢٧٠م. دار عين للدراسات، القاهرة ط١.

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية (4652-2735) الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة (2128-1110)

عبد البديع ، لطفي . (١٩٥٦). فهرست المخطوطات المصورة . ج٢ . القاهرة.

عبد الفتاح، سند .عز الدين بن شداد مؤرخاً.(٢٠٠٧). دار رؤية القاهرة.

عبد الكريم، محمد . (٢٠١٢). العلاقات الدبلوماسية لدولة بني مرين. رسالة دكتوراة غير منشورة بآداب عين شمس.

العروسي، محمد. (١٩٨٦). السلطنة الحفصية ، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي. دار الغرب الإسلامي، بيروت ،.

المنجد، صلاح الدين. (١٩٥٨). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (عرض ونقد). مجلة معهد المخطوطات العربية، مجـ٤ ج١ . القاهرة.

النجار، عبد المجيد.(١٩٨٣). المهدي بن تومرت حياته وأراؤه وثورته الفكرية الاجتماعية وأثره بالمغرب. رسالة دكتوراة بجامعة الأزهر القاهرة.

كراتشوفسك ، اغناطيوس. (١٩٧٥). تاريخ الأدب الجغرافي. ترجمة: صلاح الدين عثمان . ق١ . موسكو.

نويرة ، واعظ. (٢٠٠٨) أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية ٥٨٠-٦٣٣هـ /١١٨٤-١٢٣٥م. رسالة ماجستير، الجزائر.

ثالثاً:- المراجع الأجنبية:-

Cahen.(1940). La Syrie du nord. Paris.

Quatremére.(1845) Etienne. Histoire des sultans mamlouks de l'Egypt. t. 2. Paris.

Sauvaire , Henri.(1895). Description de Damas, ***JA*** , 9 ser. , 5 , P.409 , 478 .

Sauvaget ,(1933). Les Perles Choisies D'Ibn Ach-Chihna, Beyrouth.